

الفرج بعد الشدة

[401] شديدة ولحقه من القلق والهيام والجنون والاسف على فراقها ما منعه من النوم، ولحقه من البكاء والسهر ما كاد يخرج نفسه فلما أصبح خرج إلى دكانه ليتشاغل بالنظر في أمره فلم يكن إلى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية وجاء إلى دار أبي بكر بن أبي حامد ودخل ومجلسه حافل فسلم وجلس في أخريات الناس إلى أن انفضوا فلما لم يبق منهم غير أبي بكر ابن أبي حامد. قال له: إن كانت لك حاجة فاذكرها ؟ فحصر وجرت دموعه وشهق فرفق به ابن أبي حامد وقال له: قل عافاك الله ولا تستحي. قال: بعثت أمس جارية كانت لي أحبها واشتريت لك أطال الله بقاءك وقد أحسست بالموت أسفا على فراقها وأخرج الثمن ووضعته بحضرته وقال: أنا أسألك أن ترد على حياتي بأخذ هذه الدنانير واقالتي البيع. قال فتبسم له ابن أبي حامد وقال: فلما كانت بهذا المحل من قلبك فلم بعثها ؟ قال أنا رجل صيرفي وكان رأس مالي ألف دينار فلما اشتريتها تشاغللت بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت أنفق عليها من رأس مالي نفقة لا يحتملها مالي فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت فإذا لم يبق معي من رأس مالي إلا ثلثه أو أقل وصارت تطالبني من النفقة بما أن اطعتها فيه حتى ذهبت هذه البقية فلما منعته ساءت أخلاقها على، وتنغصت عيشتي فقلت أبيعها وأرد ثمنها فيما اختل من دكاني، ويستقيم عيشي وأستريح من أذاها وأتصبر على فراقها وينضب أمري بسقوط النفقة على وتوفرى على التجارة ولم أعلم أنه يلحقني هذا الامر العظيم وقد آثرت الفقر الآن بأن تحصل لي الجارية فان الموت أسهل مما أنا فيه. فقال ابن أبي حامد يا فلان: فجاء خادم أسود فقال أخرج الجارية التي اشتريت لنا أمس. قال: فأخرجت الجارية. قال: يا بني إن مثلي لا يطاق قبل الاستبراء والله ما وقعت عيني عليها منذ اشتريت إلى الآن وقد وهبتها لك فخذها وخذ دنانيرك بارك لك فيها ورد الدنانير إلى دكانك. ثم قال للخادم هات ألف درهم فجاء بها. فقال للجارية: قد كنت عملت على أن أكسوك فجاء من أمر مولاك ما رأيت، وليس من المروءة منعه منك فخذ هذا الدراهم واتسعى بها على